عبيد الله بن زياد

حياته وسياسته

دكتور

مصطفى السيد عبد العال رزق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .. وبعد .

فسوف أتناول الحديث عن عبيد الله بن زياد حياته وسياسته وكانت من أهم الدوافع التي جعلتني أتناول هذا البحث نظراً لأنه يعالج مشكلة في المجتمع ولذا شمرت عن ساعدي واجتهدت على قدر طاقتي وهذه المشكلة في مخالفة المجتمع لوصية النبي – ﷺ – ، ولذا سترى سيادتكم في نهاية البحث كيف كانت النهاية ، وهذه المشكلة من باطنها مشكلة ؛ ألا وهي عدم ثقافة المجتمع ولذا كان مسكن عبيد الله البصرة وابن زياد بن أبيه أحد دهاة العرب ، وساسة المحنكين فلابد والحالة هذه أن عبيد الله قد أخذ عن أبيه هذه الصفة.

واعتمدت في بحثي على المصادر الأصيلة في البحث كابن كثير والإمام الذهبي وابن الأثير وكذا من عنده هوى شيعي مثل اليعقوبي وكان بحثي قد جعلت الأقوال مستنده على أسانيدها إلى أصحابها والتزمت بالأمانة التاريخية.

وبحثي يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول . فالفصل الأول جعلته مكون من أربعة مباحث ، فالمبحث الأول مشتملاً على الترجمة ، والثاني دوره قبل الولاية والثالث ولايته خراسان وسياسته والرابع عن ولايته البصرة .

والفصل الثاني عبيد الله في خدمة الخلافة الأموية مكون من أربعة مباحث، فالمبحث الأول : أعمال عبيد الله بالبصرة ، والثاني : الخوارج ، ونشأتهم ،

والثالث : دور عبيد الله في محاربة الخوارج وسياسته ، والرابع عن حب عبيد الله لنسبه.

والفصل الثالث : مكون من ثلاثة مباحث ، فالأول عبيد الله والي المصرين (الكوفة والبصرة) والثاني الكوفة وسبب تسميتها وتمصيرها ، والثالث : سياسة عبيد الله في الكوفة ومعاملة أهلها . وأردت من هذا الفصل أن أذكر أسوأ جانباً في حياته إذ كان له دور في مقتل الإمام الحسين –رضي الله عنه – وكذلك سياسته للمصرين الكوفة والبصرة . والفصل الرابع : مكون من مبحثين ، فالأول دور عبيد الله بعد وفاة يزيد بن معاوية والثاني وفاته وأردت من هذا الفصل أن الأقوال إن نجم عبيد الله بدأ في أقوال وفاة يزيد. وخاتمة وثبت المصادر والمراجع .

وكان من أهم العقبات التي واجهتني هو ضيق الوقت وكثرة المصادر وتنوعها وتنوع أفكار أصحابها ؛ ولكني استفدت منها وهو كثرة الذهاب للمكتبة.

الفصل الأول

المبحث الأول : عبيد الله بن زياد بيئته ونشأته :

أولاً : الترجمة :

عبيد الله بن زياد والي خراسان والبصرة .

عبيد الله بن زياد بن عبيد ، المعروف بابن زياد بن أبي سفيان ، ويقال له: زياد بن أبيه ، وابن سمية – أمير العراق بعد أبيه زياد .

وقال ابن معين : ويقال له عبيد الله بن مرجانه وهي أمه . وقال غيره : كانت مجوسية .

كنيته : أبو حفص[1].

كان مولده سنة٣٢هـ فيما ذكره ابن عساكر عن أبي العباس أحمد بن يونس الضبي" وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : ذكروا أن عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين كان عمره ثمانية وعشرين سنة قلت بفعلي هذا يكون مولده سنة ٣٣هـ والله أعلم ".

وبعد هذا الرأيين الذين ذكرهما العالم المؤرخ الكبير ابن كثير يكون عبيد الله ولد في بضع وثلاثين من الهجرة .

وكان أبو عبيد الله بن زياد ممن هم مضرب المثل في حسن السياسة ووقور العقل وحسن التحوط لما يتولاه ومن رواه الحديث .

ولذا علينا ذكره نبذه عن أبي عبيده وأمه .

---

(١) البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ صـ ٣١٢ المجلد السادس ، طبعة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت .

زياد بن أبيه صار يقال له : زياد بن أبيه وابن سمية وكنيته أبو المغيرة [١].

من رواه الحديث مآثره كثير وما روى عنه قال العجلي: تابعي ، ولم يتهم بالكذب . وابن عساكر قيل أدرك – ﷺ– ولم يره .

أمه : مرجانة من بنات ملوك الفرس ، وقيل هي: مولاة صفية بنت عبيد بن أسد بن عادج الثقفي من البغايا بالطائف ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني ، وقال ابن كثير مولاه الحارث بن كلبة .

أما أم عبيد الله فهي : مرجانة من بنات ملوك الفرس .

مما تقدم ذكره يتبين لنا أن عبيداً ولد في بيئة تخرج لنا أفذاذ وساسة وقادة .

فهذا زياد بن أبيه الذي وصفه ابن حجر العسقلاني .

"كان يُضرب به المثل في حسن السياسة ووقور العقل وحسن الضبط لما يتولاه" [٢].

وكان كاتباً أيضاً وأخو أبي بكره الثقفي ذا الحادثة المشهورة . عندما أخذ والي معاوية بسر بن[٣] أرطاه أبناء زياد ليقتلهم تهديداً لزياد ، لأنه كان مع علي رضي الله عنه ، فقال له : قد أخذت ولد أخي بلا ذنب" [٤].

فكان عبيداً مولود بين زياد وأبي بكره . فمثل هذا ما يكون مصيره بالطبع سيكون له دور بارز في صنع الأحداث وصياغة الأعمال ؛ ما يكفي أن زياد

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م – دار الكتاب العالمية – بيروت – لبنان صـ ٥٢٨ .

(٢) البداية والنهاية ج ٦ ط ١٤٢٢ هـ ص ٢٩٤.

(٣) نفس المصد والمجلد والصفحة.

(٤) الولاة والولايات بالبصرة عهدي الراشدين والأمويين د. محسن سعد صـ ٥٣ .

أباه فلابد أنه قد نال من بحره الفياض المشهور بعمله لا بالنسب والأعراض[١].

صفاته الخلقية :

قال الإمام الذهبي :-

جميل الصورة ، جامع مانع من مؤرخ ، عظيم.

ثانياً : دوره قبل الولاية :

كان من رواه الحديث ؛ فقد روى الحديث عن معاوية وسعد بن أبي وقاص ومعقل بن يسار . وذكر ابن كثير أيضاً في كتابه" البداية والنهاية " قال ابن عساكر روى عنه الحسن البصري وأبو المليح بن أسامة[٢].

دوره مع معاوية – رضي الله عنه – قبل ولايته :

روى ابن عساكر أن معاوية كتب إلى زياد أن أوفد إلى ابنك . فلما قدم عليه لم يسأله معاوية عن شيء إلا نفذ طلبه حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيء . فقال : ما منعك من تعلم الشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إني كرهت أن أجمع في صدري مع كلام الله كلام الشيطان فقال أغرب فوالله ما منعني من الفرار يوم صفين إلا ما قاله ابن الإطنابه [٣] [٤] ثم كتب إلى أبيه عن هذا الأمر – فروا – حتى كان لا يسقط منه شيء .

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٤ هـ ط ٢ سنة ١٤٢٣هـ ص ٥٢٨.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٣٦٥ .

(٣) البداية والنهاية صـ ٣١٢ نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٤) رجل حُطم وحُطمة ، إذا كان قليل الرحمة كلما شبه يهشم بعضها ببعض . وفي المثل شد الرعاة الحطمة – لسان العرب (حطم) ١٢/ ١٣٩.

المماثلة من كل شيء : رديئه . وحثالة الناس : ذالتهم . لسان العرب (مثل) ١١/ ١٤٢ .

ولما سئل معاوية عنه أهل البصرة قالوا : إنه لظريف ولكنه يلحن فقال: أو ليس اللحن ظرف له ؟

واستحسن معاوية منه السهولة في الكلام . وكانت به لكنه من كلام العرب مثل أهروري أي أحروري .وكلتا كتلنا وكتلناهم أي قتلنا وقتلناهم[١] وكان جريئاً وهذه الرواية تدل على ذلك وقال الإمام الذهبي[٢] عنه روى السري بن يحيى ، عن الحسن قال : قدم علينا عبيد الله ، أمَّره معاوية غلاماً سقيما ، سفك الدماء سفكاً شديداً فدخل عليه عبد الله بن مغفل فقال : انتبه [عما أراك تصنع] فإن شر الرعاه الحطمة [٣] . ما أنت وذاك إنما أنت من حثالة أصحاب محمد – ﷺ– قال : وهل كان فيهم حثالة في أم لك.

قال : فمرض ابن مغفل فجاءه الأمير عبيد الله عائداً فقال : أتعهد إلينا شيئاً ؟ قال لا تصلي عليَّ ولا تقم على قبري .

قال الحسن : وكان عبيد الله جباناً ركب ، فرأى الناس في السكك فقال: ما لهؤلاء ؟ قالوا : مات عبد الله بن مغفل .

وقيل : الذي خاطبه هو عائذ بن عمر والمزني.

وقد جرت لعبيد الله خطوب كما قال الإمام الذهبي والخطب هو الأمر العظيم(٤) قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾[٥].

---

(١) البداية والنهاية صـ ٣٣٣ .

(٢) الإمام شمس الدين الذهبي ت ٧٤٨ – ١٣٧٤ صـ ٥٤٥ .

(٣) الحطمة من باب حطم حطماً هزل من كبر أو مرض والحطمة : النار الشديدة :"لمعجم الوجيز" باب الحاء

(٤) يانع الثمرات في تفسير سورة الذاريات د. إبراهيم توفيق الديب – مطبعة دار الوفاء رقم الإيداع بدار الكتب ٨٦٣٨ / ٨٧ .

(٥) سورة الذاريات ٥١ .

ثم يقول عنه أول عربي قطع جيحون (أي نهر جيحون) .

وكان عبيد الله شخصية نادرة من نوعها ، أعيت المؤرخين بين ناقد ومادح . فهل هو جبان كما قال الحسن في رواية السدي بن يحيى أما أنه شجاع وفتح بيكند .

فعلينا أن نطالع أوراق هذه الشخصية الفاذة بين أقرانها .

المبحث الثانى

عبيد الله بن زياد في خدمة الخلافة الأموية

وما أن اشتد ساعد عبيد الله ، إذ برياح الولاية تخطفه لمهابها فكانت خراسان أول ولاية يتولاها .

أولاً مما يلي : خراسان وولاية عبيد الله .

موقع خراسان (١):

ولاية عبيد الله خراسان :

وهو في ريعان الشباب سطح نجمه على الساحة السياسية في الدولة الأموية.

فكان عمره خمس وعشرين سنة ، تولى خراسان(٢) .

سبب ولايته :

ذكر الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل ، سبب ولايته قال الطبري":

حدثني عمر ، قال علي بن محمد قال : حدثنا مسلمة بن محارب ومحمد بن أبان القرشي قال : لما مات زياد بن أبي سفيان وفد عبيد الله إلى معاوية فقال:

---

(١) أول حدودها العراق أزادوار قصبه جو من وبيهق ، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وسجستان وكرمان – وتنقسم إلى أربعة أرباع فالربع الأول إيران شهر وهي نيسابور ، والربع الثاني مرو الشاهجان، والثالث غربي النهر جيجون ، والربع ما وراء النهر بخارى .

فتحت سنة ٣١هـ في أيام عثمان على يد عبد الله بن عامر – رضي الله عنه –.

معجم البلدان . ياقوت الحموي ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي لدار الكتب العلمية – بيروت – لبنان صـ ٤٠١ .

(٢) جـ ١ صـ١٢ البداية والنهاية صـ ٢٢٩ ، تاريخ الإسلام السياسي د. حسن إبراهيم حسن – الطبعة الرابعة عشرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م صـ ٢٤٢ تاريخ الأمم والملوك صـ ٣٤٥ – الكامل لابن الأثير.

من استخلف أخي على الكوفة . أي على عمله بالكوفة .

قال عبد الله بن خالد بن أسيد[١] ؛ قال : فمن استعمل على البصرة؟ قال: سمره بن جندب الفزاري ، فقال له معاوية : لو استعملك أبوك استعملتك، فقال له عبيد الله : أنشدك الله أن يقولها إلى أحد بعدك : لو ولاك أبوك وعمك لوليتك !

قال : وكان معاوية إذا أراد أن يولي من بني حرب ولاه الطائف فإن رأي منه خيرا وما يعجبه ولاه حكمه معها ، فإن أحسن الولاية وقام بما ولى قيامها حسنا جمع له معهما المدينة فكان إذا ولى الطائف رجلاً . قيل هو في أبي أحاد ، فإن ولاه مكة قيل أهو في القرآن ، فإذا ولاه المدينة قيل : هو في حذق.

قالا : فلما قال عبيد الله ما قال ولاه خراسان [٢].

نصائح معاوية رضي الله عنه :

قال الطبري في تاريخه : "أوصيك بوصية القرآن لخاصتك عندي خذ لنفسك من نفسك ؟ واكتف فيما بينك وبين عدوك بالوفاء تخف عليك المؤونة وعلينا منك وافتح بابك للناس تكن في العلم منهم آمن وهم سواء، وإذا عزمت على أمر فأخرجه إلى الناس ، ولا يكن لأحد فيه مطمع"[٣].

قال ابن الأثير في كامله " قال معاوية لعبيد الله حين ولاه : اتق الله ، ولا تؤثرن على تقواه شيئاً فإن في تقواه عوضا ووفر عرضك من أن تدنسه ، وإذا عطيت عهداً قف به ، ولا يتعين كثيراً بقليل ، ولا يخرجن منك أمراً حتى تبرمه فإذا خرج فلا يردن عليك ، وإذا لقيت عدوك مغلبوك على ظهر الأرض فلا

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ٥، صـ ٢٤٢ ، ٣٤٤ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ٥، صـ ٣٤٤ ، الكامل لابن الأثير جـ٤ ص١٤١

(٣) الطبرى تاريخ الأمم والملوك صـ ٥٠ جـ ٥ .

يغلبون على بطنها ، ولا تطمعن أحداً في غير حقه ، ولا تؤفوا أحداً من حق وهوله ".

ويبدو أن ابن الأثير أخذ الكلام من الطبري في تاريخه للأمم والملوك ، الذي زاد في النصائح فبعد أن أمره بالتقوى وثوابها ، ومن إبرام العقود بالحق ومجاهدة الإعداد .

وعندما سار عبيد الله إلى خراسان وكان وضيئًا والجعد بن قيس [١] ينشده مرثية زياد التي قال فيها :

يوم الثلاثاء الذي مضى ... يوم قضى فيه المليك ما قضى
وفاه بر ماجد جلد القوى ... حربه نوال جحد والتظى
كان زياد جبلاً صعب الذرى ... شهما إذا شئتم نقيصات أبي

لا يبعد الله زيادا إذا ثوى

فبكى عبيد الله بن زياداً حتى سقطت عمامته [٢].

* أعمال عبيد الله في ولايته :-

وقد قام عبيد الله بن زياد بأعمال خارجية وداخلية فمنها :

[قطع النهر إلى جبال بخارى]

وبذلك هم عبيد الله وعزم للقيام بأعماله ، وأسرع حاملا بين طياته نوازع الصلاح والعمران ، فعلينا أن نتتبع أعماله بعد قطعه للنهر .

---

(١) الجعد بن قيس : الشاعر أحد بني عطيف عاش مائة سنة . الإصابة في تمييز الصحابة جـ ١ ص ٥٨٨.

(٢) الأبيات من الرجز لم أقف عليها إلا في تاريخ الطبري ٥/ ٢٩٧ ط دار المعارف / تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم .

فتوحات عبيد الله وسياسته :

حمل الخمس والعشرين ربيعاً راية الفتوحات والأعمال في هذه البلاد.

قطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ، فكان أول من قطع جبال بخارى في جيش ففتح ونسف وبيكند وهما من بخارى[١] فمن ثم أصاب البخارية وغنم الغنائم[٢] وكان أول عربي قطع النهر وافتتح بيكند[٣].

وكان عبيد الله شجاعاً في محاربة الترك ، فما كانت فتوحات بيكند ترضيه إلا أن هب لمحاربتهم ؛ وأيه ذلك ما رواه الطبري [قال علي : لقي عبيد الله بن زياد الترك ببخارى ومع ملكهم امرأته قبح خاتون ، فلا هزمهم الله أعجلوها عن لبس خفيفا فلبست أحدهما وبقي الآخر ، فأصابه المسلمون فقوم الجورب بمائتي ألف درهم] .

وهذه الرواية تؤكد على شجاعته وبراعته وصموده في الحروب .

روى الطبري في تاريخه :

[قال : ما رأيت أحداً أشد بأساً من عبيد الله لقينا زحف من الترك بخراسان فرأيته يقاتل فيحمل عليهم فيطعن فيهم ويغيب عنا ، ثم يرفع رايته تقطر دماً" [٤]] .

كادت الروايات لتنطق بما فعله هذا الوالي الشاب الذي يظن من أفعاله أنه شيخ مليء بالتجارب ، بل سياسي محنك ؛ وكأنه ولد على أن يكون قائداً

---

(١) بخارى من أعظم المدن ما وراء النهر وأجلها يعبر إليها في آمل الشط وبينها وبين جيجون يوماً " معجم البلدان صـ ٤١٩ .

(٢) الطبري تاريخ الأمم والملوك جـ ٥ صـ ٢٤٣ ، والكامل لابن الأثير صـ ٣٤٥ .

(٣) بيكند بلده بين بخارى وجيجون صـ ٦٣٢ . ياقوت الحموي .

(٤) الطبري ج، ٥ صـ ٢٤٠ " الكامل جـ ٤ صـ ٣٤٥ "والبداية والنهاية جـ ٤ صـ ١١٢ .

ودلالة ذلك : أنه في العقد الثاني من عمره يقارن الإبطال مـــن أقرانـــه وفي عصره واتخذ عبيد الله من هذه الأراضي البخارية جنود أو قدم بهم البصـــرة وهم ألفان يجيدون رمي النشاب .

وما مضى ذكره ، نرى أن أعماله ما بين فتوحات وقطع جبال وإصـــابت غنائم وقتاله للترك من زحارف خراسان وإظهاره في هذه الحـــروب البـــأس الشديد ، يقودنا أن نشيد بأعماله فهو نعم القائد لكن لم يطل مكثه بها .

فقد أقام بها نحو سنتين ذكر الطبري في تاريخه [قال على ، قال مسلمة : أقام عبيد الله بن زياد بخراسان سنتين] وتبعه في ذلك ابن الأثير وابن كـــثير وابن الأثير في كامله"[1].

وكدأب معاوية رضي الله عنه يرمي بالأكفاء بالأماكن الصـــحيحة وآيـــة ذلك : لما جاء عام خمس وخمسين ولى عبيداً البصرة .

وقبل الخوض والدخول في ولاية عبيد الله للبصرة علينا أن نشير بإيجاز عن أهميتها .

---

(1) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك جـ ٥ صـ ٢٤٤ ، البداية والنهاية جـ ٤صـ ١١٢ ، الكامل لابن الأثير : الكامل جـ ٤ صـ ٣٤٥ .

المبحث الثالث

ولايتـــه البصـــرة الموقـــع

دور البصرة [١]:

ونظراً للبصرة وما فيها منذ أن تولاها عتبة بـــن غـــزوان ســـنة ١٤ وتم تصييرها قبل الكوفة بستة أشهر .

ونالت البصرة ما نالت من الثناء .

قال ابن أبي ليلى [٢]: ما رأيت بلداً أبكر إلى ذكر الله تعـــالى مـــن أهـــل البصرة.

وقال شعيب بن صخر[٣] : "تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقـــال : زياد: لو وصلت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلني عليها" .

وقال ابن سيرين [٤]: كان الرجل من أهل البصرة يقول لصاحبه إذا بالغ في الدعاء عليه : غضب الله عليك كما غضب على المغيرة وعزله من البصرة وولاه الكوفة . وقد مدحها الشعراء وهذا بعض منها وقال ابن عيينة المهلبي[٥]

---

(١) البصرة : البصرة العظمى بالعراق وهي الإقليم الثالث ومعناها كما قال الأنباري : الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب .

وسميت بصرة لغلظها وشدتها كما يقال : ثوب ذو بصر وسقاء ذو بصر أي شديداً معجم البلدان ، ياقوت الحموي صـــ ٥١٠ – الجزء الأول .

(٢) ابن أبي ليلى : زيد بن مره هو ابن أبي ليلى أبو العلا بن العدوية البصري البخاري . التاريخ الكبير للبخاري جـــ ٣ ص ٤٠٥ .

(٣) شعيب بن صخر : هو الفضل بن محمد بن شعيب صخر ن وهو الفضل بن عمرو وهو الفضل بن الحباب بن محمد شعيب ابن عبد الرحمن أبو حنيفة الجحمى . لسان الميزان لابن حج العسقلاني ص ٣٤٩.

(٤) ابن سرين : اسماعيل بن عبد الله بن مترل ابن سرين . البخاري : التاريخ الكبير للبخاري ج١ ص ٣٦٥ رقم ١١٥٤.

(٥) ابن عيينة المهلبي : أبو عيينه محمد بز عيينه المهلبي : الثعالبي . الإعجاز والإيجاز باب ٦ ص ١٠.

واصفاً البصرة .

يـا جَنَّـةً فاقـت الجِنـان فمـا ... يَعْـدلُها قيمـةٌ ولا ثَمَـنُ
أَلفتُهـا فاتخـذتها وطنـاً ... إنَّ فـؤادي لمثلـها وَطَـنُ
زوج حيّانهـا الضـباب بهـا ... فهـذه كَنَّـة وذا خَـتَنُ
فـانظرْ وفكرْ لمـا نطقتَ بـه ... إن الأديـبَ المفكـرُ الفطـنُ
من سُفنٍ كالنعام مُقبلـة ... ومن نعامٍ كأنها سفـن(١)

وكما نالتْ من المدح نالت منَ الذم أيضاً فنذكر طرفاً منه لما قدم علـى رضي الله عنه أمير المؤمنين بعد موقعة الجمل ارتقى منبرها فحمـد الله وأثـنى عليه ثم قال :

يا أهل البصرة يا بقايا ثمود ، يا أتباع البهيمة يا جند المرأة ولما صـار إلى المربد التفت وقال :

الحمد لله الذي أخرجنا من شر البقاع ترابا وأسرعها خرابا .

وذمتها الشعراء أيضاً نذكر منه :

ترى البصريَّ ليس به خَفَاءٌ ... لمنخـره مـن التبْـر انتشـارُ
ربا بين الحُشُوشِ وشَبَّ فيها ... فمن ريحِ الحُشُوشِ به اصفرارُ

وإسحاق إبراهيم بن هلال الصابي (٢).

لـيس يغنيـك في الطهـارة بالـ ... ـبصره، إن حانت الصلاة ، اجتهاد
إن تطهـرت فالمـياه سـلاح ... أو تيمـمت فالصعـيد سمـاد(٣)

---

(١) الأبيات من المنسرح لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة : انظر الشعر والشعراء ٨٧٨/٢ وديوان المعاني ١٣٧/٢ ، ١٣٨ ونسبت للخليل بن أحمد الفراهيدي . انظر : نو القبس : ٧١ وشعر الخليل بن أحمد ، جمعه د/ حاتم الضامن : ٢٨ .

(٢) الأبيات من الوافر : لمحمد بن حازم الباهلي ، كما في معجم البلدان (بصرة ١/ ٤٣٧) . انظر: ديوان الباهلي محمد بن حازم ١١٨ صنعة محمد خير البقاعي .

(٣) الأبيات من الخفيف ، لإبراهيم بن هلال الصاب . معجم البلدان ٤٣٧/١ ، وتيمة الدهر للثعالبي ٣١٧/٢.

يكاد الشعراء والخلفاء يرون في أهل البصرة الذم سبيلا لما لها من العصبية مكان وعلينا أن نطالع قول الشاعر الذي يصف أهل البصرة بالبخل وكذب عليهم(١).

أبغضت بالبصرة أهل الغنى إني لأمثالهم باغض
قد دثروا في الشمس أعذاقها كأن حمى بخلهم ناقض(٢)

وبعد هذا الخوض ترى أن البصرة قد أعيت ولاتها من أمرها عسراً ؛ وآية ذلكم سبب ولاية عبيد الله البصرة .

ذكر الطبري في تاريخه ذلك فقال : [حدثني عمر ، قال: خطب عبد الله ابن عمرو بن غيلان على منبر البصرة ، فحصبه رجل من بني ضبه يدعى جبير، بن الضحاك أحد بني ضرار كما قال عمر وأبو الحسن[٣] فقطعت يده فقال :

السمع والطاعة والتسلم خير وأعفى لبني تميم

وهكذا ؛ كان البصريون حالهم مع ولاتهم فأرهقوهم عسراً وطافوا بهم كل مطاف وعلينا أن نكمل ما رواه الطبري لنرى ماذا قدموا وفعلوا؟

[فأتته بنو ضبه ، فقالوا : إن صاحبنا جنى ما جنى على نفسه ، وقد بالغ الأمير في عقوبته ، ونحن لا نأمن أن يبلغ خبره أمير المؤمنين فيأتي من قبله عقوبة تخص أو تعم .

فإن رأى الأمير أن يكتب لنا كتاباً يخرج به أحدنا إلى أمير المؤمنين يخبره أنه

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت بالحموي صـ ٥١١ .

(٢) الأبيات من السريع . بغير نسبة في معجم البلدان ٤٣٧/١ .

(٣) البيت من الرجز في تاريخ الطبي ٢٩٩/٥.

قطعه على شبه وأمر لم يتضح .

فكتب لهم بعد ذلك إلى معاوية ، فأمسكوه الكتاب حتى بلغ رأس السنة وقال أبو الحسن لم يزد على ستة أشهر .

فوجه إلى معاوية ، ووافاه الضبيون ، فقالوا : يا أمير المؤمنين إنه قطع صاحبنا ظلما ، وهذا كتابه إليك ، وقرأ الكتاب [١].

فقال : إما القواد من صاحبكم ؛ قالوا : فذه ؛ فوداه من بيت المال وعزل عبد الله عن البصرة[٢]] .

وكان معاوية رضي الله عنه ذكياً أريبا سياسياً بارعاً فقال لوفد البصريين من تحبون إن أولي بلدكم ؛ قالوا : يتخير لنا أمير المؤمنين وفد علم أن البصرة تريد ابن عامر ؛ فقال : هل لكم في ابن عامر ؟ فهو من قد عرفتم في شرفه وعفافه ولمهارته قالوا : أمير المؤمنين أعلم ، فجعل يردد ذلك عليهم ليسبوهم ثم قال : قد وليت عليكم ابن أخي زياداً فكان عبيد الله بن زياد والي البصرة عام خمس وخمسين من الهجرة[٣] .

ثم بعد ذلك ولى عبيد الله أسلم بن زرعة خراسان فلم يغز ولم يفتح بها شيئاً .

وولى الشرطة بالبصرة : عبد الله بن حصن .

والقضاء زراره بن أوفى [٤] ثم عزله وولى بن أذينه العبدي[٥] .

---

(١) ص ١٤ .

(٢) ص ١٧ .

(٣) الطبري تاريخ الأمم والملوك جـ٥ صـ٢٥٢

(٤) المصدرالسابق نفس الجزء صـ ٢٤٥ ، وابن كثير البداية والنهاية جـ٦ صـ ١١٦ ، وابن الأثير : الكامل جـ٦ صـ ٣٤٧ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٥ صـ ٢٤٦ ، وابن كثير : المصدر السابق جـ ٦ صـ ١١٦، وابن الأثير : الكامل جـ ٤ صـ ٣٤٧ .

الفصل الثاني

المبحث الأول : أعمال عبيد الله بالبصرة

وفي سنة ٥٦هـ أي ست وخمسين من الهجرة عزل عبيد الله بن زياد عن خراسان . وتولى بدلاً منه سعيد بن عثمان بن عفان[1] وتفرغ عبيد الله بن زياد لولاية البصرة .

وظل بها عبيد الله بن زياد يدير شؤونها وفي سنة ٥٧ من الهجرة لم يعزله مثل مروان بن الحكم .

– أعمال عبيد الله بن زياد بالبصرة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

هكذا فعل زياد وتلاه ابنه :–

لما بنى زياد المسجد جعل صفته المقدمة خمس سواري وبنى منارته بالحجارة وهو أول من عمل المقصورة ، ونقل دار الإمارة إلى قبله المسجد وكان بناؤه إياها بالطوب اللبن وطين وتلاه صالح بن عبد الرحمن السجستاني مولى بني تميم في ولاية الخراج لسليمان وزاد عبيد الله فيه وقال : دعوت الله أن يرزقني الجهاد ففعل ودعوته أن يرزقني بناء مسجدي الجماعة للمصريين ففعل ودعوته أن يجعلني خلفاً من زياد ففعل .

بل زاد أيضاً في المسجد .

---

(١) كتاب الكامل لابن الأثير جـ٣ صـ ٣٥٥ .

البداية والنهاية جـ ٦ صـ ١١٦ .

تاريخ الأمم والملوك جـ ٣ صـ ٢٤٩ ، تاريخ الإسلام من ٤١ – ٦٠ ، صـ ١٦٠ .

قال أبو عبيد وذكره صاحب كتاب فتوح البلدان [كان جانب المسجد منـــزويه في الجانب الشمالي لأنه كانت هناك دارا لنافع بن الحارث بن كلده فأبى ولده ببيعها ولما ولى عبيد الله قالا لأصحابه : إذا شخص عبد الله بن نافع إلى أقصى ضيعته فاعلموني ذلك . فشخص إلى قصره الأبيض الـــذي علـــى البطيعة فأخبر عبيد الله بذلك ، فبعث الفعلة فهدموا من تلك الدار ما ســـوى تربيع المسجد ، وقدم ابن نافع فارضاه عبيد الله بكل ذراع خمسة أذرع وفتح له في الحائط خوخه إلى المسجد] [١]. وأقام صهريجا يحمل إليه الماء من دجلة كما قال البلاذري ، وقال الوليد بن هشام لم يزد أحد في المســـجد إلا ابـــن زياد"[٢] .

وكان زياداً سخياً مكرماً ، فقد أعطى للنعمان بن أصبهان في قصره وقال له : بئس المال هذا يا أبا حاتم إن كثر الماء غرقت وإن قل عطشت فكان كما قال قل الماء فمات ... [٣] .

وهكذا نرى أن زياداً كما اهتم بالمسجد جاء ابنه حاملاً نفس هذه الشعلة واهتم بالمسجد أكثر ما كان .

وكان سخياً مكرماً ، يحارب على الشبهة والظن وبذلك يتطالع نجمه في الصعود في محاربه الخوارج .

---

(١) الكامل : لابن الأثير جـــ ٣ ص ٣٥٥ معجم البلدان : البلدان : البلاذري ط ١٣٩٨ – ١٩٧٨م صـــ ٢١٣ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر ص ٣٥٠ .

المبحث الثاني
الخوارج ونشأتهم

من هم الخوارج :

فرقة الخوارج ظهرت على مسرح الأحداث ، فكلفت الوالي والرعية بالبصرة وما جاورها من أمصار الدولة الإسلامية تكلفة باهظة (١) .

والخوارج لغة : جمع خارج وخارجي مشتق من الخروج وسموا بذلك الاسم لخروجهم على عليٍّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – أو لخروجهم على الناس بمقالتهم التي قالوها .

اصطلاحاً : هم من أنكروا على عليٍّ – رضي الله عنه – التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان – رضي الله عنه – وذريته وقاتلوهم ، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاه منهم "(٢) .

نشأتهم : فتنة الخوارج أول بدعة في الإسلام بسبب حب الدنيا لما كان يقسم النبي – ﷺ– يقسم قسماً ، فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يتق الله ولم يعدل فقال ذو الخويصرة : اتق الله يا محمد وهو رجل من بني تميم فقال رسول الله – ﷺ– ويلك من يعدل إذ لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر : يا رسول الله إئذن لي فيه فأضرب عنقه فقال : دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصامه فما يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء . حديث أبي سعيد الخدري(٣).

---

(١) الولاه والولايات في عهدي الراشدين والأمويين دراسة سياسية " الجزء الثاني د. محسن سعد صـ ٥٦ .

(٢) شبهات حول السنة إعداد نخبة من علماء قسم الحديث صـ ٦١ .

(٣) صحيح البخاري ، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٠) الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ .

المبحث الثالث

دور عبيد الله في محاربة الخوارج وسياسته

دور عبيد الله في محاربة الخوارج

كانت سنة٥٨هـ عام الأحداث والتنكيل بالخوارج :

وذكر ابن الأثير في كامله خروج بعضاً منهم فقال [كانت الخوارج يجتمعون على رجل اسمه جدار ، فيتحدثون عنده ويعينون السلطان فأخذهم ابن زياد فحبسهم ، ثم دعا بهم وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً] [١].

وترى في هذه الرواية ذكاء الوالي ودهاءه وشجاعته عندما طلب منهم أن يقتل بعضهم بعضا لكن ما هو رد فعلهم ؟! ذكرت الرواية [ففعلوا فأطلقتهم وكان ممن قتل "طواف " فعذلهم أصحابهم وقالوا : قتلتم إخوانكم ! قالوا : أكرهنا ، وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالإيمان ثم ندم طواف وأصحابه .

وبحثوا عن توبة وذهبوا لأولياء الدم لدفع الدية فأبوا والقود فأبوا ، ولقي طواف الهثهات بن ثور السدوسي عن التوبة فقال ما أجد لك إلا آية في القرآن الكريم : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لغفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] .

ولكن ما سلم عبيد الله من كيد طواف فهب وهو وأصحابه للفتك بابن زياد وكان معه سبعين رجلاً من بني عبد القيس في نفس السنة ، ولما علم زياداً بخبرهم أرسل إليهم الشرطة البخارية وانهزموا يوم عيد الفطر المبارك ، وبقي طواف في ستة نفر وعطش فرسه فأقحمه الماء فرسا ، البخارية بالنشاب حتى

---

(١) ابن الأثير – الكامل جـ ٣ صـ ٥١٦ ، صـ ٥١٧ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٣.

قتلوه وصلبوه . ثم دفنه أهله وقال شاعر منهم :

يا رب هب لي التقى والصدق في ثبت ... وأكف المهمَّ فأنتَ الرازق الكافي
حتى أبيع التي تفنى بآخرة ... تبقى على دينِ مرْداسٍ وطوّافِ[1]

وهكذا كان الوالي يأخذ بالظن والشبهة حتى هابه الخوارج فكان يكيل الصاع صاعين ، لذا ما قامت لهم مقام في ولايته فكان حقاً ابن زياد .

وإذا تطالعنا هذه الرواية علمنا قوة الوالي وبطشه بالخوارج ذكر الطبرى وابن الأثير والطبري هذه الرواية تدل على ذكاء الوالي ، فإن كان زياداً ما سلمت نساء الخوارج منه فكذلك الابن وكما يقول الشاعر :

بأبه أقتدي عدي في الكرم ... وما شابه أباه فما ظلم[2]

قال الطبري [حدثني عيسى بن عاصم [3] سدي أن ابن زياد فرج خرج في رهان ، فلما جلس ينتظر الخيل قال له عروة : يعظه ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾[4].

وكما قالنا أن عبيداً يحاسب على الظن والشبه فظن أنه ما قال ذلك إلا معه جماعة فقام وركب وترك رهانه .

فقيل لعروة : ليقتلنك فاختفى وهرب وأتى الكوفة فذهب عبيد في طلبه

---

(١) الأبيات من البسيط ، لرجل من بني عبد القيس ، كما في الكامل لابن الأثير ٣/١١٠ .

(٢) الرجز من أبيات نسبت لرؤبة بن العجاج . انظر ديوانه : ١٨٣ (ثمن مجموع أشعار العرب ، جـ ٣ بعناية / وليم بن الورد البروسي .

(٣) الطبرى : تاريخ الطبرى جـ ٣ صـ ٣٥٩ .

(٤) سورة الشعراء الآية ١٢٨ .

وأتاه وقتله وقبل قتله قطع يديه ورجليه .

ولننظر لهذا الحدث الذي لا أعرف أن أصفه أن قتل ابنه عروة وزاد الطبري : إنه قال إني به ثم دعا فقال : كيف ترى ؟ قاله : أفسدت دنياي وأفسدت آخرتك ..

ولم يكتفي عبيداً بذلك بل حبس أخاه أيضاً وكان أخوه أبو بلال مرداس، كما قال ابن الأثير : عابداً مجتهداً عظيم القدر في الخوارج شهد صفين مع عليٍّ رضي الله عنه وأنكر التحكيم ولما رأى لابن عامر قباء قال : هذا لباس الفساق ، فقال أبو بكره : " ألا تقل هذا للسلطان فإن من أبغض السلطان أبغضه الله .. وكان لا يدين ويحرم خروج النساء وكانت هناك البتخاء امرأة من بني يربوع تحرض على ابن زياد وسوء سيرته ، وهي من المجتهدات فقال لها أبو بلال : إن التقية لا بأس بها فتعنيني فإن هذا الجبار قد ذكرك ، وخشيت الميمس أحدا بسببها سوءا فأخذها ابن زياد فقطع يديها ورجعها ومر بها أبو بلال في السوق فغض على لحيته وقال : أهذه أطيب نفساً بالموت منك يا مرداس ؟! وما ميته أموتها أحب إلى من ميته الشخاء ومر ببعير قد طلى بقطران فغشى عليه ثم أفاق قتلا ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ . . . ﴾[1]

فحبس ونال ما نال ، وحبس أبا بلال قبل أن يقتل أخاه عروه ولما رأى السجان عبادته فإذن له كل ليله في إتيان أهله فكان يأتيهم ليلا ويعود مع الصبح وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد فذكر ابن زياد في ليلته على عزمه على قتل الخوارج ، فخاف وانطلق صديق مرداس واعلمه الخبر ، وبات السجان بليله سوء خوفاً ألا يرجع مرداس ، فلما كان الوقت رجع فقال له

---

(١) سورة إبراهيم ٥٠ .

السجان : أما بلغك ما عزم عليه الأمير ؟ قال لي . قال ثم جئت قال نعم : لم يكن جزاءول مني مع إحسانك إلى أنه تعاقب[١] .

ثم شفع السجان وكان ظفراً لعبيد الله فأخذ بقدمه وقال : هب لي هـذا وقص قصته فوهبه وأطلقه .

ثم خاف ابن زيادا فخرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز واجتاز بيت المـال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم رد الباقي .

ما موقف عبيد الله من هذا الموقف ؟

بعث إليهم جيشاً سنة ستين من الهجرة عليهم السلم بن زرعة الكـلابي وقيل أبو أو ابن حصين التميمي على رواية الطبري وهو الأسبق من ابن الأثير الذي قال " بعث أسلم بن زرعة الكلابي أو أبو دمين " .

وأيضاً جاءت مضمون بالسند قال حدثني عمر قال حدثنا زهـير ، قـال حدثني وهب بن جرير فجاءت بالسند .

إذا القائد هو ابن حصين التميمي وكان الجيش الفان ولما وصلوا ناشدهم بلال بالله أن لا يقاتلوا ففعلوا أو لم يفعلوا كان الخيار الثاني هذا أنهم لم يفعلوه فقال أبو بلال : قد بدأوكم بالقتال وشدوا شدة رجل واحد فانهزم أسلم فلام ابن زياد أسلم عند ما جاء البصرة وقال : هزمك أربعون وأنت في ألفـين لا خير فيك . فقال : لا تلومني وأنا حي خير من أن تثنى على وأنا ميت "[٢].

فكان الصبيان إذا رأوا أسلم صاحوا به أما أبو بلال وراءك فنهاهم ابـن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ٣ صـ ٢٥٥ ، الكامل لابن الأثير جـ٣ صـ ٣٦١ ، محاضرات في تاريخ الدولة الأموية – محمد الخضري بك " الطبعة الأولى " ١٤١٤ – ٢٠٠٣ مؤسسة المختار الأولى صـ ٣٣٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٣ صـ ٣٦١ .

زياد وقال رجل من الخوارج .

أألفـــا مـــؤمن مـــنكم زعمـــتْ ويقتلـــهم بآسَـــكَ أربعـــون
كـــذبتم لـــيس ذاك كمـــا زعمـــتم ولكـــن الخـــوارج مؤمنونـــا
[هي الفئة القليلة قـــد علمتـــم على الفئة الكثـــيرة ينُصرونـا][1]

وهكذا نرى الوالي أتعب الخوارج وكذلك الخوارج أتعبوا فهم أجـلاف طبعوا على أراءهم الذائفة منذ أيام النبي – عليـه السـلام – ونـزولهم إلى حروراء بعد أمر التحكيم بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان ، ولكن الوالي المذكور نال منهم فقتل بالشبيه والظن كما رأينا مع عروة . وحلفه أن ينكـل بالخوارج وكذلك البتخاء ومن الممكن أن يكون أصاب لكن خطئه أقدح وآية ذلك مع فعله مع عروة .

بعد ما كان من أمر الخوارج ، عند ولايته للبصرة ففي سنة٥٩ عزل وعاد إليها .

سبب ذلك :[عندما ذهب عبيد الله للبصرة فعزله[2] قال حدثني عمر عن علي قال: وفد عبيد الله بن زياد في أهل العراق إلى معاوية فقال لـه : إئـذن لوفدك على منازلهم وشرفهم فأذن لهم . ودخل الأحنف في أخرهم . وكـان سيء المنـزلة من عبيد الله ، فلما نظر إليه معاوية رحب به وأجلسه معه على سريره .

وأحسن القوم على ابن زياد والأحنف ساكت فقال له معاوية : ما لك يا

---

(١) الأبيات من الوافر لرجل من بني تيم الله بن ثعلبة . انظر تاريخ الطبرى ٣١٤/٥ . ولرجل من الخوارج . كما في الكامل لابن الأثير ١١٢/٣.

(٢) الكامل لابن الأثير جـ٣ – صـ ٣٦٣ ، تاريخ الأمم والملوك جـ ٣ صـ ٢٥٧ ، البداية والنهاية جـ٦ صـ ١٤٠ .

أبا بحر لا تتكلم ؟ قال : إن تكلمت خالفت القوم .

فقال معاوية : انهضوا فقد عزلته عنكم واطلبوا واليا ترضونه فلم يبق أحد لا أتى رجلاً من بني أمية أو من أهل الشام والأحنف لم يبرح من منزله فلم يأت أحداً فلبثوا أياماً ثم جمعهم معاوية وقال لهم : من اخترتم ؟ فاختلفت كلمتهم والأحنف ساكت فقال : ما لك لا تتكلم ؟ فقال : إن وليت علينا أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعيد الله أحداً ، وإن وليت عن غيرهم فانظر في ذلك فرده معاوية وأوصاه بالأحنف وقبح رأيه في مباعدته فلما هاجت الفتنة لم يف له غير الأحنف][1].

هكذا كان البصريون يفعلون مع ولاتهم هكذا ، فيما كان من أمر عبيد الله إلا أن أراحهم من مشقة الخوارج وأرضاهم ، ففعلوا مثل سلفة معاوية رضي الله عنه .

(1) نفس المصدر والصفحة والجزء .

المبحث الرابع

عبيد الله وحبه لنسبه

كان ذكياً فتعامل مع الموقف بدهاء شديد ورأى سديد ورد عبيداً وهو سعيد .

ولكن في نفس هذه السنة لما كان عبيداً بالشام إذا بيزيد بن مفرغ[1] يقدم البصرة فكتب إليه أخوه عباد نظراً لأن يزيد هنا قد هجاه وأنشده الشعر الذي منها الذي ذكر ابن الأثير عن صاحب الأغاني :

وأشهد أن أمك لم تباشر أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمراً فيه لبس على وجلٍ شديد وارتياع

واستأذنه في قتل يزيد فلم يأذن وأمر بتأديبه ، ولما قدم ابن مفرغ استجار بالأحنف وغيره فلم يجره أحد من الرؤساء إلا المنذر بن الجارود وأدخله بينه ، وكانت ابنه المنذر عند عبيد الله ولما قدم عبيد الله وعلم بمكان ابن مفرغ فأمر الشرط إلى دار المنذر فأخذوه والمنذر عنده فقال له المنذر : "يا أمير المؤمنين لكن لم يقل ذلك بل قال أيها الأمير إني قد أجرته .

فقال عبيداً [2] والله يا منذر ليمدحنك وأباك ويهجوني أنا وأبي . ثم تجيره على ثم أمر به فسقى دواء وحُمل على حمار عليه الكاف فجعل يطاف به وهو يسلخ في ثيابه فقام بهجاء المنذر :

---

(١) يزيد بن مفرغ : أبو عثمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذي العشيرة بن الحارث بن دلال بن عوف بن عمرو بن يزيد بن مرة بن مرثد بن مسرق بن يزيد بن يحصب الحميرى .
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٣٤٢ رقم ٨٢١ .

(٢) ابن الأثير جـ٣ صـ ٣٦٤ .

تركت قريشاً أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر[١]
أناس أجارونا فكان جوارهم أعاصير من قسوا العراق المنيف

وقال لعبيد الله :

يغسل الماء ما صنعت وقولي راسخ منك في العظام البوالي[٢]

وأرسله إلى أخيه عباد بسجستان ، ثم عفى عنه معاوية لما شهد أمام الخليفة أنه لم يقل وإنما الذي قال هو عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان وخيره أي مكان ينزل فيه نزل الموصل وارتاح بالبصرة "[٣].

وترى معي عزيزي القارئ غيره عبيد الله على نسبه بأن يمس بسوء من قبل أي شاعر .

وفي سنة ستين من الهجرة توفى أمير المؤمنين وخال كل مؤمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه [٤] .

يحظى الوالي المذكور في سنة ستين بولايتي البصرة والكوفة والسبب في ذلك :-

دعوه أهل الكوفة الحسين لمبايعته [٥] .

لأن عبد الله بن مسلم كتب إلى يزيد بن معاوية يخبره بقدوم مسلم بن

---

(١) الأبيات من الطويل ليزيد بن مفرغ في الأغاني ٥٤٧/١٨.

(٢) البيت من الخفيف ليزيد بن مفرغ . انظ : الأغاني ١٨ / ٢٧٣ .

(٣) الكامل لابن الأثير جـ ٣ صـ ٣١٥ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك جـ ٣ صـ ٢٦٠ ،البداية والنهاية جـ ٦ صـ ١٦١ .

(٥) الكامل لابن الأثير جـ ٤ صـ ٣٨٥ .

عقيل الكوفة ومبايعة الناس فقال له :

إن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويا ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ثم كتب إليه عمرو بن سعد بن أبي وقاص (١) فلما اجتمعت الكتب واستشار سرجون مولى معاوية واستشاره في ولاية الكوفة وكان عاتباً .

(١) نفس المرجع والصفحة .

الفصل الثالث

المبحث الأول : عبيد الله والي المصريين الكوفة والبصرة

علي عبيد الله بن زياد . فقال له سرجون : أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه ؟ قال نعم فأخرج عبيد الله وهذا رأي معاوية[١].

"هكذا نرى الخليفة يوماً إلى عبيد الله بمهمة شاقة إذ يتولى مصريين من أصعب الأمصار هما الكوفة والبصرة . وكان ما كان من أمره مع شيعه الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه .

وعلينا أن نذكر مقتطفات في دوره حتى لا يدخلنا في موضع آخر فموضعنا مختص بعبيد الله وليس بأمور الدولة عموماً . فنطالع ما أبداه الوالي . فخرج قاصداً الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة فأمره بطلب مسلم بن عقيل [٢] وبقتله أو نفيه ، فلما وصل كتابه إلى عبيد الله أمر بالتجهز ليبرز من الغد . لكن ما غاب عن الوالي البصرة لكان أهلها أثاروا الهرج عندما بعث الحسين – رضي الله عنه – بكتابه إلى أشراف البصرة فكتب إلى مالك بن مسمع البكري [٣] والأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود[٤] داعم إلى كتاب الله وسنة رسوله فهي قد حانت والبدعة قد أحييت .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ جـ ٣ صـ ٣٨٧ .

(٢) مسلم بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي . الذهبي . تاريخ الإسلام ص ٥٣٢ تحقيق ديشار معروف .

(٣) مالك بسن مسمع البكى : الجحدى كان زعيماً فى قبيلة بكر بن وائل اشترك مع معاوية ثم رجع إلى العراق وكان على ضمن قبيلته بكر فى قتال مصعب المختار . الطبرى : تاريخ الطبرى فهرس ص ٣٨٧ ، والطبقات الكبى لابن سعد متمم الصحابة . الطبعة الخامسة جـ ١ ص ٨٦ .

(٤) الأحنف بن قيس السعدى البصرى أبو بح يعرف بالأحنف ويعرف بالضحاك . البخارى : التاريخ الكبير بحواشى محمود خليل جـ ٢ ص ٥.

لكن ما رأى أهل البصرة في الكتاب نطالع الأخبار : كلهم كتموا كتابه إلا المنذر بن الجارود [١] ظنا منه أنها دسيسة من عبيد الله فأتاه بالرسول والكتاب فضرب عنقه وخطب الناس : أما بعد فوالله ما بقي بي تقرن الصعبة وما يقعقع لي بالشنآن ، وإني لنكل لمن عاداني وسلم لمن حاربني ، وأنصف القارة من راماها" [٢] .

وأخبرهم أنه قد ولى الكوفة وسائر إليها بالغداة وأنه استخلف عليهم عثمان بن زياد أخو عبيد الله .

فعذرهم قائلاً " وإياكم والخلاف الأرجاف فوالله لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ، ولأخذن الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا ولا يكن فيكم مخالف ولا شاق وإني ابن زياد أشبهته من بين وطن الحصي فلم ينتزعن شبه خال ولا ابن عم .

---

(١) المنذر بن الجارود العيدى ولاه الإمام على أعماله فخاض فيه قال فيه على أنه لانظار فى عطيته فختال يرديه . بحار الأنوار ٣٣ ص ٥٠٦ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ جـ ٣ صـ ٣٨٨ .

المبحث الثاني

الكوفة [١] وسبب تسميتها وتمصيرها

وذهب عبيد الله إلى الكوفة وقبل الخوض في الأحداث والسياسات يجدر بي وضع إلماعة قليلة عن موقعها وسبب تسميها وتمصيرها الكوفة :

تمصيرها :

تمصيرها في عهد الخليفة الراشد الفاروق عمر رضي الله عنه في السنة التي مصرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ وقيل سنة ١٩ أو سنة ١٨ من الهجرة"[٢].

وقبل استقراء الأحداث أقول يا ليت عبيد الله ما ذهب إلى الكوفة إلا أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً .

---

(١) بالضم المصر المشهور بأرض بأبل من سواد العراق سبب تسميتها .
قال صاحب كتاب " فتوح البلدان " قال أبو بكر محمد بن القاسم سميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب : رأيت كُوفانا وكوفانا بالفتح والضم . وقيل في كوفان أي بلاء وشر وقيل لاجتماع الناس من تكوف الرمل وقيل أعطيت كيفه قطعة وموقعها وأخرت ذكره كي تعرف سبب تسميتها .
طول الكوفة تسع وستون درجة ونصف وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان وهي في الإقليم الثالث .

(٢) كتاب معجم البلدان . ياقوت الحموي صـ ٥٥٨ جـ ٤ .

المبحث الثالث

سياسة عبيد الله في الكوفة ومعاملة أهلها

وذهب عبيد الله حاملا في صدره كل دواعي الكيد لمن خالف الدولة الأموية والخلافة ، فكما كان مع معاوية نعم الوالي إصبع كذلك مع يزيد .

فما أن ذهب إلى الكوفة إلا وشارك في قتل الحسين وأتباعه والأدهى والأمر من ذلك أن أهل الكوفة لمن يخالفه فلنتابع مع فعله عبيد الله في سنة ٦٠ من الهجرة في الكوفة .

دخوله الكوفة وسياسته .

الخوارج من أهل الكوفة وكذلك الإمام الحسين – رضي الله عنه – شارعاً

أولاً : دخوله الكوفة .

عندما خرج عبيد الله ومع مسلم بن عمر والباهلي وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته وكان شريكاً شيعيا فكان أول من سقط وكانت الكوفة تستهل وصول الحسين قبل دخول عبيد الله الكوفة إذا بالمجالس فلا يشكون أنه الحسين ويقولون " مرحبا بك يا بن رسول الله وخرج إليه الناس فساءه ما رأى منهم "[1].

كان ذلك مع فعله أهل الكوفة إلا النعمات ما إن علم أنه عبيد الله فتح له النعمان وكان لا يشك إنه الحسين فلما دنا منه علم وقال له " افتح لا فتحت فسمعها إنسان خلفه فقال للناس : إنه ابن مرجانه "[2].

---

(1) الكامل لابن الأثير جـ ٤ صـ ٣٨٨ .

(2) ابن الأثير نفس الجزء ص ٥٠ .

وذهب وخطب على المنبر في يومه كما قال ابن الأثير في كامله فقال :

أما بعد فإن أمير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم وفيعكم وأمرني بإنصاف مظلومكم ثم في نهاية خطبته توعد فقال : " وسيفي وسوطي على من ترك أسرى وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه "[1] .

وكانت سياسته في الكوفة نفسها الذي كانت بالبصرة حتى ما إن كاد يتنفس من طول سفره حتى قال لهم .. اكتبوا من فيكم من الحرورية وأهل الدين " .

فكما أرهق الخوارج في البصرة ، جاء إليهم بالكوفة .

أما الثاني :

فقتله من أهل الكوفة الخوارج وشيعه الإمام الحسين – رضي الله عنه– ومشاركته في قتله أيضاً .

فمن الأولى وهو قتل الخوارج وشيعه الإمام الحسين قتله هانئ ومسلم وبعث برأسيهما ليزيد فمن قتله لهانئ :

يقال : إنه قد مرض فبعث إليه وكان ابن زياد مكرماً له ثم قال له : يا هانئ ما هذه الأمور التي نرص في دارك لأمير المؤمنين والمسلمين ؟ جئت بمسلم فأدخلته دارك وتبعت له السلاح والرجال وظننت ذلك يخفى على . ثم أنكر هانئ ذلك ثم جاء عين ابن زياد " جاسوس " وعلم حين ذلك هاني إنه كان تحت عين ابن زياد .

ثم اعترف هاني بالحقيقة وأبي أن يسلم مسلم لأنه ضيفه وسأله النزول وقال له " لا آتيك بضيفي تقتله أبداً وكان من نتائج ذلك عقاب مؤلم " .

---

(١) الكامل لابن الأثير صـ ٣٨٩ .

" أن أخذ مهارن ضفيريّ هانئ وأخذ عبيد الله القضيب وكسر أنفه ولما ضرب هاني يده إلى قائم سيف شرطي وحبذه فمنع منه فقال له عبيد الله : أحروري أحلك بنفسك وحل لنا قتلك "[١] .

وكذلك نكل بهانئ على أنه من الخوارج .

ولكن ما علم بذلك عمرو بن الحجاج [٢] وأقبل في ماءجج ولكن عبيد الله كان من الذي . بمكان فقال لشريح القاضي قل لهم أنه حي "[٣] فانصرفوا.

وهكذا كان أمره مع هانئ والذي آتى إليه في داره وفتك به وأقوال أن ما فعله عبيد الله ليست من شيم المكرمين ، فإن هانئ استضافه فكيف يقدمه لحمه سائغة لعبيد الله ؛ هذا أمر عجيب فلذا ندم أسماء بن خارجه ويكفي استدلالاً على ما قلته ما قالوا أسماء ما قلت؟ .

أرسله يا غادر أمرتنا أن نجيئك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه وسيلت دماءه وزعمت أنك تقتله فأمر به عبيد الله فلهز وتعتع ثم ترك فجلس [٤].

مقتل مسلم بن عقيل :

كان مسلماً قدم وقد بايعه ثمانية عشر ألفا وضاق بعيد الله ذراعاً : لكن كان عبيد الله ذكيا فتوعد أهل المعصية وأمر الإشراف أن يفرقوا الناس

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٤ صـ ٣٩٣ .

(٢) عمرو بنم الحجاج : هو عمرو بن الحجاج الزبيدى . قال ابسن اسحاق : كان مسلماً فى عهد رسول الله وله مقام محمود حين أرادت زبيد السرقة فنهاهم عنها وحثهم على التمسك بالإسلام . هو عمرو بن العجيل . أسد الغابة ط العلمية جـ ٤ ص ٢٠٠ لابن الأثير.

(٣) نفس المرجع والمصدر صـ ٣٩٤ .

(٤) الكامل لابن الأثير جـ ٤ صـ ٣٩٣ .

فانصرفوا حتى أن المرأة تأتي بابنها وأخاها تقول : انصرف النـــاس يكفونـــك ويفعل الرجل مثل ذلك .

فتفرق الناس ثم ذهب عبيد الله وخطب الناس وقال " أما بعد فـــإن ابـــن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق " .

ثم هرب مسلم فارقته عجوز يقال لها ظوعه فأرسل عبيـــد الله في طلبـــه وأكثر في ذلك . ثم استقاء محمد بن الأشعث وقدم به إلى عبيد الله مســـتأمنه فقال له: ما أنت وإلا مات : ما أرسلناك لتؤمنه ، إنما أرسلناك لتأتينا به !

وكان مسلم اصابة العطش فما رأى جره من الماء طلب منهم أن سيسقيه فما كان من أمرهم إلا أن قالوا والله لا تذوق منها قطره حتى تـــذوق نـــار جهنم[1].

وفي نهاية هذا الأمر قال له عبيد الله : قتلني الله أن لم أقتلك قتله لم يقتلها أحد في الإسلام فقال مسلم له :

أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه .

أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة .

فشتمه ابن زياد وشتم الحسين وعليًّا بهذا يكون قد فعل جرماً مـــا يفعـــل السفهاء الضالون .

فاصعد بمسلم إلى فوق القصر لحز رقبته ويشجوا رأسه جسده .

وكان مسلم يقول لابن الأشعث .

والله لولا أما بك ما استسلمت . وكان الذي قتله بكير بـــن حمـــران . وعندما نزل بكير سأله عبيد الله عنه قال إنه كان يسبح الله ويستغفر .

---

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة .

فلما قتلته قلت له : " أدن مني الحمد لله الذي أمكن منك وأقادني منك فضربته ضربه لم تغن شيئا فقال : إما ترى خدش تخدشينه وفاء من دمك أيها العبد !

فقال ابن زياد وفخراً عند الموت ! ثم ضربته الثانية فقتلته .

وقال عبد الله بن الزبير في قتل هانئ ومسلم وقيل قاله الفرزدق .

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتيل[1]

دور عبيد الله في مقتل الحسين :

عندما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة وبها مسلم بن عقيل قد نزل على هانئ بن عروة ، وهو شديد العلة وصديقا لابن زياد فلما قدم ابن زياد الكوفة أخبر بعله هانئ فأتاه ليعوده فقال هانئ لمسلم بن عقيل وأصحابه وهم جماعة : إذا جلس ابن زياد عندي وتمكن ، فإني سأقول اسقوني إنما خرجوا فاقتلوه ؛ فأدخلهم البيت وجلس في الدوات " [2].

وكانت هذه خديعة للوقيع بعبيد الله ، ولكن كان ذكياً أريباً .

ففهم ما أرادوا ووجه الشرط يطلبون مسلماً ، فكانت نتيجة ذلك كما قال اليعقوبي في تاريخه .

---

(١) الأبيات من الطويل ، اعبد الله بن الزبير الأسدى ، ويقال للفرزدق . انظر : تاريخ الطبرى ٣٧٩/٥ ، والكامل لابن الأثير ١٤٦/٣. وقيل لعبد الرحمن بن الزبير الأسدى كما فى الأخبار الطول لأبي حنيفية الدنيوى ص ٢٤٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب العباسي المعروف ، المجلد الثاني طبعة ١٤١٢ – ١٩٩٢ صـ ٢٤٣ .

فقتله عبيد الله وجر برجله في السوق ، وقتل هانئ ابن عروة لنـــزول مسلم منـــزله وإعانته إياه .

وعلم الحسين وهو بالتطقانه بالعراق بمقتله – وهكذا نرى أن عبيداً نكل بأصحاب الحسين بن عليَّ رضي الله عنه ، لكن ما سبب قتله مسلم بن عقيل ومشاركته في مقتل الحسين أن يزيد أمر الوليد بن عتبه عامله بالمدينة أن يأخذ البيعة من الحسين بن عليَّ وعبد الله بن الزبير فإن أبا فاضرب أعناقهما وابعث برءوسهما "[1].

فما كان من أمر الإمام الحسين رضي الله عنه إلا أن خرج إلى مكة وكتب إلى أهل العراق بعد أن قال للوليد : نصيح ونأتيك مع الناس فقال مروان : أن خرجا لم ترهما .

وكتب الحسين رضي الله عنه الكتب وأرسل الرسل ، فكان آخر كتـــاب ورد عليه هانئ بن أبي هانئ وسعيد بن عبد الله الختعمي .

"بسم الله الرحمن الرحيم " إلى الحسين بن علـــيَّ مـــن شـــيعته المـــؤمنين والمسلمين ، أما بعد ، فحي هلا ، فإن الناس ينتظرونك لا إمام لهم غـــيرك ، فالعَجَلّ ثم العَجَلّ والسلام "[2] .

فوجه إليه مسلم بن عقيل ووصل للكوفة وأخذ المواثيق علـــى النصـــرة والمشايعة فكان من أمر مقتله .

هل كان ما فعله الوالي عبيداً يعتبر تنفينا كما نقول في الوقـــت الحاضـــر "تنفيذا للسلطات العليا " .

---

(١) نفس المرجع والمصدر والجزء صـــ ٢٤٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبي جـــ ٢ صـــ ٢٤٢ .

وهكذا نكمل لترى لماذا أقدم على هذا ؟

عندما أقبل الحسين رضي الله عنه يريد العراق ووليها عبيد الله بعد أن ولاه يزيد ، وعلم بقدوم الحسين الكوفة فكتب إليه .

" إنه أي الحسين قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم ، وقد بلى به بلدك من بين البلدان ، وأيامك من بين الأيام فإن قتلته ، وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد فاحذر أن يفوتك" [1] .

مع العلم أنني لا أستطيع إلا كتابة الروايات كى لا نقع في الأخطاء، فكان ومن الأولى عدم استجابة عبيد الله لقول يزيد وترك الإمام الحسين رضي الله عنه في طريقه .

فما كان من أمر إلا أن بعث عبيد الله بعمر بن سعد بن أبي وقاص ، والمرء يتعجب كل العجب منهما فعبيد الله أبوه زياد " كان مع الإمام عليَّ رضي الله عنه والثاني أباه حواري الرسول – ﷺ– ومن معتزلي الفتنة ، وليس بحثا في هذا البحث أحداث المقتل ؛ لكن وللأسف قد شارك الوالي في إثم من ارتكب هذه الجريمة .

فلقي عمر بن سعد الحسين رضي الله عنه بموضع الفرات أو على الفرات يسمى كربلاء وعمر بن سعد في ٤٠٠٠ (أربعة آلاف) جندي والحسين رضي الله عنه في ٦٢ أو ٧٢ . فما كان من أمر عمر منع الحسين الماء والدعوة للقتال أو الاستسلام وما أبوا إلا القتال والاستسلام ومضوا به إلى عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيه وينفد فيه حكم يزيد .

فما كان من الغد وذكرهم بالله عز وجل وبالرسول وسألهم الرجوع فأبوا إلا قتاله أو استسلامه .

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ صـ ٢٤٢ .

فلما علم الحسين رضي الله عنه قال لأصحابه : ليسوا يقصدون غيري فانصرفوا فأنتم في حل فقالوا لا والله يا ابن رسول الله حتى تكون أنفسنا قبلك، وخرج زهير بن القين وحذر قومه وقتلوا أصحابه رجلا رجلاً حتى بقي وحده ما مع أحد من أهله ولده . فوقف على فرسه وأتى له بمولود في تلك الساعة فأذن في إذنه فأتاه سهم فمات الصبي ولطخه بدمه وقال أنت أكرم على الله من الفاقة ولمحمد أكرم على الله من صالح " عليهما السلام وأتاه سهم فوقع في لبته فخرج من قفاه فسقط واحترز رأسه الشريفة وبعثوا بها إلى عبيداً فلما دخلن إليها خرجت نساء الكوفة فقال عليٌ بن الحسين هؤلاء يبكينا علينا فمن قتلنا " [1] .

ومهما قلنا فأظن بهذا الفعل الشنيع قد أدى بعبيد الله لأسوأ نهاية .

أما كان له قبل الخوض في هذا الصراع أن يضع أمام عينيه .

حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه– قال : قال رسول الله – ﷺ– " يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ومعنى عترتي : قال الشيخ الألباني عترة الرجل : أهل بيته " [2] .

ولكن الحسين مع أخيه الحسن سيدا شباب أهل الجنة ، بل نالا الشهادة ورضا ربه ورضوانه .

أما عبيد الله الذي وإن نفذ أمر السلطات لا تعتبر عذراً ولا حجة ، لأن كان عليه التأني عدم الخوض في هذه المعركة .

وعليه أيضاً أن يعلم لو أنه لم يشارك في هذا الشيء ودافع عن الحسين ؛

---

(١) تاريخ اليعقوبي صـ ٢٤٤ ، صـ ٢٤٥ .

(٢) مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة تأليف حاتم بن شريبي بن محمد عاشور صـ٢٣١ ط٢ مكتبة الإيمان .

لكانه ثوابه عظيم وإني أسطر بعض هذه الأسطر أشعر بالأسى لأنني كنت أتمنى أن يكون مدافعاً عن الحق وليس محاربا للحق .

وترى الولي أيضاً استغل ذكائه لنكابه على نفسه وليس لإسعاد نفسه ورضا ربه أولاً فما شفع له يزيد ولا نفعته الدولة الأموية بشيء .

الفصل الرابع

عبيد الله بن زياد في ميزان المؤرخين القدماء والمحدثين

المبحث الأول

دور عبيد الله بن زياد بن معاوية بن أبي سفيان مع يزيد

وكما نرى أن فترة ولايته مع يزيد من أشد الفترات تعصباً فقد أقترف إثما كبيراً وذنبا عظيما وجاء بأمر أدا ، فما كان له أن يفعل ذلك حتى ولو كان قراراً والسيف على رقبته ، فما كان الحسين رضي الله عنه ليؤذي إنسان أو يفعل شيئا مشينا إلا أنه قد عارض خلافه يزيد وكذلك الزبيرين .

وقد أساء كثيراً وكثرت سيئاته وبلغت عتوا كبيراً ، إن كنا قد أشدنا بدوره في قتل الخوارج وإن أساء أيضاً في حقهم إنه قد حاسب أناس لم يكن لهم دخل في هذا الأمر ؛ بل نكاء فجزم بالقول إن غروره وكبره وبطشه ونفسه سولت إنه على الحق من الله لو كان استمسك بمنهج أبيه فما فعل ذلك ، وما أقترف هذه الجرائم .

لكن كل ما يعنينا أن نطالع أحداثه بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ .

والآن نطالع عصراً آخر من عصور عبيد الله لأنه تطور من حال لحال في سياسته لنطالع لنرى هل كان صادقاً في هذا القول أم لا .

لما أتى الخبر بوفاة يزيد لعبيد الله مع مولاة حمران وكان رسول معاوية ثم يزيد بعد ذلك .

أولاً : دوره مع أهل البصرة :

وقد نرى في خطبته ما يظهر بزي المتودد في حبهم الذي لم سيفك دما، وإن ذكرنا بجانب من الفطنة والحكمة عبيد الله أعي أي إنسان يقرأ عنه نراه

في وقت متوددا وآخر متوحشاً ينتقل من حال لحال ومن قول لآخر يحاسب على الخطأ ويشيد مسجداً .

وكي لا نخوض في مجال الحساب على شخصيته نتركه في آخر البحث .

ونرى ما قال عبيد الله في خطبته :

بعد أن حمد الله وأثنى عليه وكان الأحنف بن قيس قال :

إنه كانت له ليزيد في أعناقنا بيعة ويقال في المثل : أعرض عن ذي فترة فأعرض عنه عبيد الله وقال لأهل البصرة وسأذكر النص لنرى أنه انتقل من عصر لعصر في أطوار سياسته : يا أهل البصرة أن مهاجرنا إليكم ودارنا فيكم ومولدي فيكم ولقد وليتكم وما يخص ديوان مقاتليكم إلا سبعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا وكأنه يعدد نعمه فهو شخصية فازه نكمل لنرى وما تركت لكم قاطبة من أخلفه عليكم إلا في سجنكم ، وإن يزيد قد توفى واختلف أهل الشام وأنتم أكثر عدداً وفناء وأعني الناس ثم خيرهم فمن يختارونه (فاختاروا لأنفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون ، وإن كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة وعلينا أن نطالع ما قالوا أهل البصرة في حضرته وبعد انصرافهم .

وبيعوا أهل البصرة وبعد أن انصرفوا بعد البيعة قالوا : لا يظن ابن مرجانه ستقاد له في الجماعة والفرقة كذب والله ! ثم وثبوا عليه [1].

وبدا في هذا الدور يتضاءل دور عبيد الله في البصرة فقد جاء سلمة بن

---

(1) الولاة والولايات دراسة سياسية د. محسن سعد صـ ٨٦ نقلا عن خليفة بن خياط .

ذؤيب(١) لأخذ الرأي للبصريين في عبيد الله بن الزبير .

ولما علم عبيد الله زجرهم وقال لهم : (هذا سلمة يدعوا إلى الخلاف عليكم ، أراد أن يفرق جماعتكم) .

ولما فطن عبيد الله وكان قبل خروج سلمة في بيت المال يخرج ثمانية آلاف ألف أو أقل فكان يعطيهم أرزاقهم ولما كان من أمر سلمة كف عن ذلك ونقلها حين هرب .

ودعا رؤساء السلطات وأخواته لأخذ الاستشارة فمنهم من تعلل لعدم وجود خليفة للمقاتلة معه ومنهم من قال : قتلنا معك ثم أرسل إلى حارث بن قيس وخشي على نفسه وواصلوا لأخواله من بني ناجيه .

المهم في هذه المرحلة أنه كان يخشى بمقابلة الحرورية ثم مضى إلى مسعود بن عمرو بن عدي بن محارب وذكروا ما من يفتخرون بمكارمهم فآوى عبيد الله عنده .

وفي سنة ٦٤ من الهجرة يعتبر قد غاب نجم عبيد الله عن أرض العراق ثم أراد السفر إلى الشام .

وأكاد أن نجمع بعد عزل أو طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث[٢] وتوليه عبيد الله إلا أن قام يزيد بن الحارث .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري صـ ٣٦٥ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣٧٥ .

دور عبيد الله مع مروان بن الحكم .

وقال : أنحن نبايع ابن مرجانه ! [١]

وفي هذه الأجواء كان له دور عندما ذهب مروان لمأخذ الأمان لبني أمية .

فقال له ابن زياد : أنشدك الله تفعل ، ليس هذا برأي أن تنطلق وأنت شيخ قريش إلى أبي خبيب بالخلافة .

وبهذا الشيء فعل عبيد الله خدمه لمروان بن الحكم حيث آل إليه الحكم.

ونرى عبيد الله حكيماً في حبه لبني أموية وإخلاصه لهم حتى أن يكون قد أعماه في أفعاله .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك صـ ٣٧٥ .

المبحث الثاني

وفاتـــــــه

مقتل عبيد الله يوم عاشوراء سنة ٦٧هـ [١].

في سنة ٦٦ قد صار إبراهيم بن الأشتر لمقاتلة عبيد الله وكان معه المختار يشيعه .

وكان ابن الأشتر عندما ذهب بعد سنة ٦٦ ليلقوا ابن زياد مثل دخولـــه أرض العراق وقبل بلوغه الموصل . بحثهم لقتال ابن زياد ويذكرهم بالحســـين وقتله .

واشتد الوطيس بين ابن الأشتر وعبيد الله وانهزم أصحاب ابن زياد .

ولما انهزموا قال ابن الأشتر : قتلت رجلاً وجدت منـــه رائحـــة المســـك شرقت يداه وغربت رجلاه تحت راية منفرده على شاطئ نهر خازر .

فالتمسوا فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلا[٢] .

وكان إبراهيم قد ضربه ضربة قصمته نصفين . فكانت نهايتـــه أن مـــات مقتولا فأخذ رأسه وأحرقت جثته .

ما قيل في رأس عبيد الله .

قال المغيرة : قال بعض حجاب بن زياد : دخلت معه القصر حـــين قتـــل الحسين فاضطرم في وجهه ناراً فقال بكمه هكذا على وجهه . وقال لا تحدثن بهذا أحداً .

---

(١) حسن إبراهيم حسن جـــ ١ تاريخ الإسلام صـــ ١٧٩ دار الكتاب العربي .

(٢) تاريخ الأمم والملوك صـــ ٤٨١ جـــ ٣ .

الكامل لابن الأثير جـــ ٤ صـــ ٦٢ جـــ٤ .

وقالت مرجانه لابنها عبيد الله بعد قتل الحسين : يا خبيث . قتلت ابن رسول الله – ﷺ – لا ترى الجنة أبداً .

وقال ابن مفرغ حين قتل زيادا :

إن المنايا إذا ما زُرْنَ طاغية ... هتكن أستارَ حُجَّاب وأبواب
أقول بُعْداً وسُحْقاً عند مصرعه ... لابن الخبيثة وابن الكَوْدَنِ الكابي
لا تقبل الأرض موتاهم إذا قُبروا ... وكيف تقبلُ رِجساً بين أثواب (١)

قال الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء

قال عز لنا سبعة رؤوس وغطينا منها رأس حصين بن نمير وعبيد الله بن زياد : فجئت فكشفتها فإذا حية في رأس عبيد الله تأكل .

وصح من حديث عمارة بن عمير ، قال : جئ برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه فأتيناهم وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت فإذا هي حية تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله فمكثت هنيه ثم خرج وغابت ، ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرة أو مرتين .

وبهذه النهاية الأليمة يجب علينا ألا ننكر أن الجزاء من جنس العمل ؛ ولكن علينا أن لا نستطيل بألسنتنا كما تفعل الشيعة .

بل يجب علينا أن نكون كما أمرنا وتعلمنا من شيوخنا وأستاذتنا ولا أقول أمرت لأني لا أعدوا أن أكون مؤرخاً لم يسطر له نقدا ولا يأمن له رأيا ولا يرفع له رأساً في سماء المؤرخين ، لكن يجب عليَّ كما تعلمت أن أكون محايداً لا يربطني ولا يحجم لساني سيف السلطان . ولا يسطر قلمي إلا بالحق

---

(١) البيت من البسيط لابن مفزع في ديوانه : ٨٢ – ٨٤ وانظرها في أنساب الأشراف ٤٢٧/٦ الكامل لابن الأثير صـ ٦٣ .

والبرهان فأقول أن عبيد الله بشراً يصيب ويخطأ .

فإن كان قد أخطأ فلا ننسى أنه قد تولى خراسان وهو في العقد الثاني من عمره وأول من قطع جبال بخارى وممن جمع في يديه ولاية البصرة والكوفة.

وإن كان قد أخذ بالظن والشبهة في محاربة الخوارج مثل ما فعل مع عروة بن أديه فهو كان والياً يريد أن يؤمن لساكني ولايته الأمان والسلام ، فأراد أن يصرف شرهم وتسلطهم .

وإن كان من الحكام الذي يتحدثون بالحسام فهو أيضاً تحت إمارة خليفة.

ولا ننسى أنه اهتم بالمساجد وأوسع في بنائه آية ذلك مثل مسجد البصرة وأقام صهريجاً ليجعل المياه عذبا فهو شريان الحياة .

لكن الخطأ في نظري وإن كان يتسم بضيق الأفق وصغر السن ؛ ألا وهو حبه المفرط لبني أمية الذي ساقه ان يفعل ذلك فهو ما إن يسمع بشر يحدق بهم حتى يشهر الحسام قبل الكلام .

وآية ذلك ما فعله مع الحسين بن عليٍّ رضي الله عنه ولكن هذا يؤخذ عليه . فإنه لا يفعل ذلك ولو كان تحت بطش السياق ، فهو حين فعل ما فعل لنسيانه وصية النبي – ﷺ– بعترنه .

وطاعة النبي – ﷺ– واجبة قال تعالى ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ .

وأريد أن أختم ما قلته بقول إمامنا الذهبي فقال : الشيعي لا يطيب عيشة حتى يلعن هذا ودونه . ونحن نبغضهم في الله . ونبرأ منهم ولا نلعنهم ، وأمرهم إلى الله لكن نخرج من هذا البحث بفائدة وهي :

إتباع قول النبي – ﷺ– ووصيته بفعل منا بدون حقد وحسد ومن خالف

ذلك فنهايته ربما تكن مثل عبيد الله وألخص هذه الفائدة بـــثلاث كلمـــات " وصية النبي – ﷺ – فرض " .

ونحن نرى في عالمنا المعاصر وما أصابنا من النكبات هو أن نفعـــل الخطـــأ والحرام ونقع في الذلات والخصام ونقول تحت قهر السلطان ، فهـــذا قـــول الضعفاء ومبدأ التعساء لكن علينا أن نتعلم من عبيد الله وكما كنت أسمع وأنا صغير الأعمال بالخواتيم اللهم اجعل آخر أعمالنا الصالحة خواتمها .

وبعد هذا السرد أود أن أكون قد وفقت في هذا البحث وقبل أن أخـــتم أقول أن بين سيادتكم جهد طالب ومشاقة مؤرخ صغير يأمل أن يكون بحثه قد نال رضا الله أولاً ثم رضاكم .

ثبت المصادر والمراجع

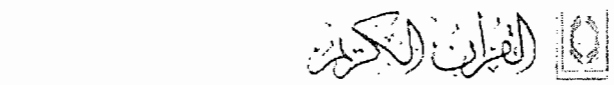

١- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ المجلد السادس طبعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م - المكتبة العصرية - بيروت .

٢- الكامل لابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي ت ٦٣٠ .

٣- تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب العباسي المعروف باليعقوبي - المجلد الثاني طبعة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٤- يانع الثمرات في تفسير سورة الذاريات .بي

د. إبراهيم توفيق الديب عميد كلية أصول الدين بالمنصورة سابقاً مطبعة دار الوفاء - رقم الإيداع بدار الكتب ٨٦٣٨/ ٨٧ .

٥- فتوح البلدان للبلاذري أحمد بن يحيى ت ٢٧٩هـ .

٦- الأصلية لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ .

الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - دار الكتب العالمية - بيروت - لبنان

٧- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري أبو جعفر ت ٣١٠ .

٨- صحيح البخاري - الطبعة الأولى ١٤٢٩م .

٩- تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي د. حسن إبراهيم حسن - الطبعة الرابعة عشر ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

١٠- تاريخ خليفة بن خياط ت ٢٤٠ .

١١- مفاتيح الجنة من القرآن والسنة تأليف حاتم بن شرين بن محمد عاشور

– مكتبة الإيمان – محاضرات د. صبحي عطية يونس .

١٢– شبهات حول السنة إعداد نخبة من علماء قسم الحديث – فرع المنصورة .

١٣– الولاة والولايات في عهدي الراشدين والأمويين – دراسة سياسية د. محسن سعد عبد الله ناصر .

١٤– محاضرات في تاريخ الدولة الأموية محمد الخضري بك – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ٢٠٠٣م مؤسسة المختار .

١٥– معجم البلدان – ياقوت الحموي .

١٦– تحقيق فريد عبد العزيز الجندي – دار الكتب العالمية– بيروت– لبنان.

١٧– معجم الوجيز – إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية .

فهرس الموضوعـــات

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥٣٧
الفصل الأول : المبحث الأول : الترجمة والنسب والمولد – صفاته الخلقية	٥٣٩
المبحث الثاني : ولايته خراسان الموقع .	٥٤٥
المبحث الثالث : ولايته البصرة الموقع .	٥٥١
الفصل الثاني :المبحث الأول : أعمال عبيد الله بالبصرة	٥٥٥
المبحث الثاني : الخوارج معناها ، ونشأتهم .	٥٥٧
المبحث الثالث : دور عبيد الله في محاربة الخوارج وسياسته .	٥٥٩
المبحث الرابع : حب عبيد الله لنسبـــــه .	٥٦٥
الفصل الثالث : المبحث الأول : عبيد الله والي المصريين الكوفة والبصرة .	٥٦٩
المبحث الثاني : الكوفة وسبب تسميتها وتمصيرها	٥٧١
المبحث الثالث : سياسة عبيد الله في الكوفة ومعاملة أهلها .	٥٧٣
الفصل الرابع : المبحث الأول : دور عبيد الله بن أبي سفيان.	٥٨٣
المبحث الثاني : وفاتـــه	٥٨٧
ثبت المصادر والمراجع .	٥٩١
فهرس الموضوعات .	٥٩٣